

مقياس: مصادر تاريخ الغرب الإسلامي

إعداد الأستاذ: لخضر بولطيف

مستوى: السنة الأولى ماستر – تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي

الموسم الجامعي: 2021/2020

المحاضرة (03): كتب التراجم والأعلام – القسم الأول

مدخل:

تمثل كتب التراجم والأعلام الشق الثاني، ضمن المصادر التاريخية المباشرة، وخلافا لما قد يُتوهم من الغلبة العددية لكتب التاريخ والحوليات، فإن الواقع يشهد بالوفرة لصالح كتب التراجم والأعلام، ولربما يعود تفسير ذلك، ليس إلى كثرة المؤلفين في هذا الصنف فحسب، إذا ما قورنوا بنظرائهم من مؤلفي الصنف الأول، ولكن لما أن مؤلفي التراجم والأعلام يُكَمِّل بعضهم بعضا، من خلال تتمة وتذييل اللاحق على عمل السابق، خلافا لما يقع من الأمراء والسلاطين بشأن كتب التاريخ والحوليات، فإنهم يستهدفون الكتب التي تُعنى بذكر أمجاد الدولة السابقة، ولا يرحّبون بشيوعها وتداولها، مما يؤثر على انتساخها، وانتقالها من جيل لآخر.

ولعل مما يشهد -أيضا- للوفرة العددية لكتب التراجم والأعلام، هو كثرة التقسيمات والتفاريع التي تندرج تحتها، وذلك بحسب معايير التصنيف المعتمدة. وسنحاول فيما يلي الوقوف على أهمها (بحسب الوفيات، بحسب الأقطار، بحسب التخصصات):

01- بحسب الوفيات:

عُني كثير من المصنفين بتقييد وفيات الأعلام، وضمّهم إلى بعضهم البعض ضمن مجاميع، قد يُراعون فيها التدرج من الأقدم إلى الأحدث وفاة، أو يرتبونهم ترتيبا ألفبائيا (مشرقا أو مغربيا)، وفي حين يورد بعض المؤلفين أعدادا ضخمة من المترجم لهم، فإن البعض الآخر يقتصر على الناهيين دونما سواهم، أو قد يُفضّل البعض إثارة الترجمة لمن أظلم عصر من العصور أو قرن من الزمان.

• نمط السنين:

تشتمل اللائحة -أدناه- أشهر عناوين المصادر التي عنت بضبط أسماء مترجميها، وتدقيق تواريخ وفياتهم، ويلاحظ أن عددا منها نسج على منوال الكتاب الأول في السلسلة، على سبيل التتمة له والاستدراك عليه، أو الإيعاب له والتذييل عليه. وهذه المصادر سواء كانت لمؤلفين مشاركة أو مغاربة فإنها تُمد الباحث في تاريخ الغرب الإسلامي بفوائد جليلة، لا غنى له عنها؛ ليس في الحقل الفكري الثقافي فحسب، بل -وأیضا- في سائر الحقول التاريخية الأخرى السياسية والاقتصادية والاجتماعية...

- ابن خَلِّكان (ت 681هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان

- ابن الصَّقَّاعي (ت 726هـ): تالي وفيات الأعيان

- الكُتَّبي (ت 764هـ): فوات الوفيات والذَّئيل عليها

- الصَّفَّدي (ت 764هـ): الوافي بالوفيات

- ابن تَغْرِي بَرْدِي (ت 874هـ): المنهل الصافي والمُسْتَوْفي بعد الوافي

- الدَّهْبي (ت 748هـ): سِير أعلام النبلاء

- ابن رافع (ت 774هـ): كتاب الوفيات

- ابن قُنْفُذ (ت 809هـ): كتاب الوفيات

- السُّيوطي (ت 911هـ): نظم العُقَيان في أعيان الأعيان

- الوُنْشَرِسي (ت 914هـ): كتاب الوفيات

- الرُّزْكَشي (ت 974هـ): عقود الجُمان

- ابن القاضي (ت 1025هـ): دُرَّة الحِجال في أسماء الرجال [ذيل وفيات الأعيان]

• نمط القرون:

إن اختيار تجميعية تراجم ممن عاشوا ضمن عصر معيّن أو قرن محدّد، وسواء جرى ترتيبهم داخل المجموع زمنيا أو هجائيا، لا يُعلي من شرط التلقي والمعاصرة فحسب، ولكنه أيضا يُلقي أضواء كاشفة على هذا العصر أو ذاك القرن، بما يسمح باستخلاص مادة وافية عنه، كما يتيح للباحث تتبع مختلف العلائق وأشكال التواصل بين الأفراد والجماعات؛ تأثرا وتأثيرا، فضلا عن الانفلات من إسهام التحقيقات السياسية النمطية المجحفة، التي لطالما جعلت تاريخنا رهنا لتعاقب الأسر الحاكمة.

- ابن حَجَر (ت 852هـ): الدُرَر الكامنة في أعيان المائة الثامنة
- السَّخَاوي (ت 902هـ): الضوء اللامع لأهل القرن التاسع
- الشُّوكاني (ت 1250هـ): البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع
- العَرِّي (ت 1061هـ): الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة
- العَيْدَرُوس (ت 1038هـ): النور السافر عن أخبار القرن العاشر
- ابن عَسْكَر (ت 986هـ): دَوْحَة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر
- المُجِيبِي (ت 1111هـ): خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر
- الإفراني (ت 1155هـ؟): صَفْوَة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر
- القادري (ت 1187هـ): نَشْر المئاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني
- المُرادِي (ت 1206هـ): سِلْك الدُرَر في أعيان القرن الثاني عشر
- البَيْطَار (ت 1335هـ): جِلْيَة البشر في تاريخ القرن الثالث عشر
- ابن سُودَة (ت 1400هـ): إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع

02- بحسب الأقطار:

شكّل العالم الإسلامي في العصر الوسيط فضاء حضاريا واحدا، على الرغم من تعدد الكيانات السياسية التي توزّعت، ولذلك كان التواصل الحضاري السمة السائدة بين مختلف الأقطار الإسلامية، ولا غرابة حينئذ إن إهتبل المشرق بتراجم المغاربة أو اشتغل المغربي على تراجم المشاركة، بل إننا لا نُعدم في المدونات الخاصة بأهل قطر معيّن ذكرا لغيرهم من العابرين به، والوافدين عليه.

• المشرق:

تحفل كثير من مدونات التراجم المشرقية بذكر أعلام من الغرب الإسلامي، ممن نزلوا بحواضر المشرق، سواء كانوا طلبة متعلمين أو علماء مبرّزين، أو كانوا تجارا سائحين أو جنودا مجاهدين، وسواء كان مرورهم عابرا لا يتجاوز الأيام والأسابيع أو أثروا المكث هناك لشهور وسنين، أو اختاروا المجاورة بالحرمين الشريفين على الدوام والتأييد.

- الخطيب البغدادي (ت 463هـ): تاريخ بغداد = تاريخ مدينة السلام

- ابن عساکر (ت 571هـ): تاريخ مدينة دمشق
- الأذفوي (ت 748هـ): الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد
- الفاسي (ت 832هـ): العُقد الثمين في تاريخ البلد الأمين
- المَقْرِيْزي (ت 845هـ): المُقَمَّى الكبير
- ابن الأهدل (ت 855هـ): تُحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن
- السَخَاوي (ت 902هـ): التُّحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة
- عبد الحيّ الحَسَنِي (ت 1341هـ): الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام

• المغرب:

لا غرو أن مدونات التراجم المغربية -ومثلها الأندلسية- تنطوي على إفادات غاية في الأهمية، بحكم مواكبتها المكانية والزمانية للأعلام المترجم لهم، ولذلك فهي تحتل الصدارة في كونها رافدا حيويا للباحث الذي يروم أن يقترب من حيثيات التاريخ العياني لفئات العلماء والصلحاء، ممن كان لهم الحضور الفاعل في كثير من محطات تاريخ الغرب الإسلامي.

- أبو العَرَب (ت 333هـ): طبقات علماء إفريقية وتونس
- الخُشْنِي (ت 361هـ): طبقات علماء إفريقية
- المالِكي (حي سنة 474هـ): رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساکهم
- الدبَّاع (ت 699هـ): معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان
- العُبريني (ت 704هـ): عنوان الدِّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية
- ابن الأحمَر (ت 810هـ؟): بيوتات فاس الكبرى
- ابن القاضي (ت 1025هـ): جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس
- المَقْرِي (ت 1041هـ): روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس
- الرُسموكي (حي سنة 1098هـ): كتاب الوفيات
- البرتلي (ت 1219هـ): فتح الشُّكور في معرفة أعيان علماء التَّكْوُر
- الإكراري (ت 1358هـ): روضة الأفنان في وفيات الأعيان

- الحفناوي (ت 1361هـ): تعريف الخلف برجال السلف
- التعارفي (ت 1378هـ): الإعلام بمن حلّ مرآكش وأغمات من الأعلام
- السوسي (ت 1383هـ): المغسول

• الأندلس:

لا يكاد تاريخ الأندلس لينفصل عن تاريخ المغرب، ولذلك فإن كثيرا من مدونات التراجم الأندلسية تُفسح في ثنائها مساحات متفاوتة لأعلام المغرب، بل ولقد يُعد بعض المغاربة أندلسيين بحكم المنشأ أو الاستقرار؛ يشهد لذلك حرص المؤلفين الأندلسيين (سلسلة الصلات والتكملات)، على إفراد الغرباء من غير الأندلسيين، بتراجم خاصة تحت كل حرف من حروف موسوعاتهم التي بلغتنا.

- الخشني (ت 361هـ): أخبار الفقهاء والمحدثين
- ابن الفرصي (ت 403هـ): تاريخ علماء الأندلس
- الحميدي (ت 488هـ): جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس
- ابن بشكوال (ت 578هـ): كتاب الصلّة
- ابن الأبار (ت 658هـ): التكملة لكتاب الصلّة
- ابن فرتون (ت 660هـ): ذيل الصلّة [مفقود]
- ابن الزبير (ت 708هـ): صلّة الصلّة
- ابن عبد الملك (ت 703هـ): الدّيل والتكملة لكتابي الموصول والصلّة
- الدّهبي (ت 748هـ): المُستَمَلَح من كتاب التكملة
- الضبيّ (ت 599هـ): بُغية المُلتَمِس في تاريخ رجال أهل الأندلس
- ابن عسكر (ت 636هـ): أعلام مالقة
- ابن الخطيب (ت 776هـ): عائِد الصلّة [مفقود]
- ابن الخطيب (ت 776هـ): الإحاطة في أخبار غرناطة
- ابن الخطيب (ت 776هـ): أوصاف الناس في التواريخ والصلّات